مؤشر لضرورة التعامل مع مشاعر الاجحاف عند العرب خصوصا بعد فوز حماس

إحراق كنيسة البشارة في الناصرة تذكير بخطورة التصادم على خلفية دينية بين اليهود والعرب

■ عندما ينجح رسم كاريكاتوري يسخر من النبي محمد في إحداث اضطرابات صاخبة في أرجاء المعمورة لتتمخض عن قتلى وجرحى، يتوجب الامتنان ـ لله وليس غيره بالطبع ـ بأن عملا استفزازيا بدائيا من عائلة غريبة الأطوار في كنيسة البشارة النصراوية انتهى بـ 26 جريحا باصابات طفيفة فقط.

حادثة عشاء السبت في الناصرة عادت لتجسد درجة الاشتعال والتفجر الكامنة في تصادم ديانة مع اخرى في ظل وجود نزاع قومي بين الديانتين. ليس في ذلك أي جديد: التاريخ البشري تبلور بدرجة كبيرة نتيجة للحروب الدينية التي كانت في بعضها دفاعا عن الدين ذاته، وفي البعض الآخر كان الدين وسيلة لتحقيق انجازات سياسية واقليمية. وانه لمن السخرية أن يعود الدين في مطلع القرن الواحد والعشرين الى تهديد سلامة الشعوب بعد أن حُشر في الزاوية التي يستحقها في العلاقات الدولية وفي تحديد مصير الشعوب كما يبدو للوهلة الاولى.

عائلة حبيبي التي أفقدت الدولة والشرطة صوابهما أمس الاول، وأشعلت نارا مستطيرة في الناصرة، فعلت عملا محسوبا ومدروسا بالتأكيد بالرغم من غرابته: هذه العائلة اختارت مكانا مقدسا بصورة استثنائية بالنسبة للعالم المسيحي حتى تجتذب الأنظار لمطلبها. بذلك تكون قد سارت في أعقاب باروخ غولدشتاين الذي اختار الحرم الابراهيمي بالتحديد لتنفيذ مذبحته من بين كافة المواقع المحتلة الاخرى. ومثله مايكل دينيس روهان الذي استهدف المسجد الاقصى للتنفيس عن جنونه، وكذلك الزوجان اللذان ألقيا برأس خنزير في مسجد يافا، والمجهولون الذين قاموا قبل مدة قريبة بكتابة شعارات مهينة على مسجد بجانب رام الله، وكذلك الحال مع المتعصبين اليهود الذين يخططون للاعتداء على المساجد في الحرم. الدين ليس مجرد أفيون للشعوب، وانما مخدر محفز إن لم يكن مُشعلا للحرائق من أدنى العالم الى أقصاه.

بفضل سلوك الشرطة الذكي وإسهام قادة الكنيسة والبلدية في الناصرة بصورة مسؤولة انتهت الحادثة بهدوء نسبي، ولكن ليس من الممكن تجاهل حقيقة أن مسافة قصيرة جدا تفصل بين انتهاء ردود الفعل وبين انزلاقها نحو دوامة الغرائز التي لا تعرف الحدود. ضحايا الاعتداء ـ سكان الناصرة وقادتهم ـ اعتبروا ما حدث هجمة مُدبرة من اجل المساس بهم. حتى المعتدلون من القادة اعتبروا الحادث ثمرة فاسدة للسياسة الحكومية المجحفة بحق الأقلية العربية. الاغلبية اليهودية في المقابل اعتبرت تصرف عائلة حبيبي في كنيسة البشارة عملا قام به اشخاص كادحون، إن لم يكونوا مضطربين نفسيا ذوي دوافع شخصية بحتة، ولا علاقة له البتة بالصراع الاسرائيلي ـ العربي. هذا مؤشر على أن الآراء المسبقة المتبادلة عند الطرفين والقائمة في جذور كل النزاعات، قد طفت على السطح عشية السبت.

من الممكن الاشارة الى عدة دروس مستفادة مباشرة من هذا الحدث ـ على سبيل المثال وضع حراسة ناجحة على مداخل الاماكن المقدسة الهامة للأديان الثلاثة، أو توطيد العلاقة بين قيادة الشرطة والقيادات المحلية الدينية، وتحديد اجراءات مشتركة لمعالجة الاوضاع الأزماتية المشابهة. إلا أن المشكلة أن هذه التوصيات المستفادة من الحدث تُقرأ مثل الشعارات. عندما يتم اختيار موقع ديني ليكون ساحة احتجاج أو عمل انتقامي، فان هناك احتمالية عالية بأن تكون السيطرة على النتائج صعبة جدا ـ والدليل على ذلك أحداث العراق الأخيرة بعد تفجير المسجد في سامراء.

متظاهرون امام كنيسة البشارة في الناصرة

وبالرغم من ذلك، يتوجب على الحكومة أن تتعلم درسا واحدا من حادثة الناصرة: مشاعر الاجحاف العميقة في الوسط العربي هي أرضية خصبة لاندلاع مشاعر العداء والاحباط في الاوضاع الازماتية وفي الصراعات التي تصيب العصب الديني بصورة خاصة. الحكومة التي لا تسارع الى إزالة التفرقة وتحسين شعور عرب اسرائيل بالمواطنة، انما تضعف بيديها قدرتها على إطفاء لهيب الازمات نتيجة للتصادمات على المفترقات الدينية. هذا التشخيص هام بصورة خاصة في مطلع الفترة التي صعدت فيها حماس الى الحكم لتزيد بذلك من احتمالية التصادم على خلفية دينية بين اليهود والعرب.

عوزي بنزيمان
كاتب رئيس في الصحيفة
(هآرتس) 2006/3/5

على اسرائيل العمل على نقض حماس وإضعافها لانه لا يمكن صنع السلام معها كما لم يكن ممكنا مع عرفات

■ يتهم تسفي كاسا، الفريق موشيه يعلون، بكل مشكلات الشرق الاوسط تقريبا («خطأ بوغي»، 2/27)، يرى كاسا أضرار الانفصال التي يشير اليها موشيه يعلون، كان يعلون على حق عندما حذر من أن الانفصال يدعم الارهاب. وهي حقيقة تظهر ايضا في استطلاعات الرأي التي أجراها المستطلع الفلسطيني، الدكتور خليل الشقاقي. قبل استقرار الرأي على الانسحاب وإخراب غوش قطيف، قال أكثر الذين سُئلوا إن الارهاب لم يُحرز شيئا. ولكن بعد استقرار الرأي على انسحاب أحادي ـ ما يزال ينتظر تفسيرا منطقيا ـ أوضحت استطلاعات الشقاقي أنه قد طرأ انقلاب وأن أكثر الذين سُئلوا اعتقدوا أن الارهاب قد انتصر. من هنا حتى انتصار حماس في الانتخابات كانت الطريق قصيرة. قادة الارهاب، مثل اسماعيل هنية، الذين اختبأوا من الجيش الاسرائيلي، خرجوا من أوكارهم، ولبسوا الحُلل، وعادوا للاعلان على الملأ بقصدهم الى القضاء على دولة اسرائيل.

خلافا لأقوال كاسا، يبرهن التاريخ العسكري العالمي على أن الارهاب قد هزمته جيوش نظامية في جميع الحالات تقريبا. ينسب كاسا الى الساسة حكمة الاستراتيجية، وهي حكمة غير موجودة في رأيه عند أفراد الجيش.

أية حكمة استراتيجية كانت وراء اتفاق اوسلو؟ هذا الاتفاق مبني على فروض داحضة، كأنما أُخذت عن مسيرة الغباء. والنتيجة ـ اضطراب كان سببا لمقتل 1500 من الاسرائيليين ولأضرار بالغة في جميع المستويات. يتبين أن الإتيان بمنظمة التحرير الفلسطينية من تونس الى البلاد لم تكن فكرة براقة. لم يتعلم الساسة درس الخراب الذي خلفه عرفات في الاردن وفي لبنان، حيث أقام دولة داخل دولة الى أن طُرد.

على الرغم من ذلك، منحته حكومة اسرائيل فرصة ثالثة لاقامة مملكة ارهاب في داخلنا هذه المرة. اعترف البروفيسور يئير هيرشفيلد، من مبادري اتفاق اوسلو، بخطئه. فيقول هيرشفيلد: «عرفات عاد الى غزة وقد خبئ في سيارته ارهابيون مطلوبون واسلحة. كان ذلك برهانا على فشل اوسلو. وعندما سُئل زمن زيارته روبرت موغابي في زمبابوي ما الذي يحتاجه زعيم لتحقيق أهدافه، عد عرفات ثلاثة شروط: الاستحواذ على مصادر الاموال، والسيطرة على أناس مسلحين، ووجود استراتيجيتين أو ثلاث بديلة، بحيث اذا لم تنجح واحدة، ينبغي استعمال غيرها. وكانت الاستراتيجية الاخرى في نظر عرفات هي الارهاب كما تعلمون».

حتى لقد اعترف شمعون بيريس اعترافا جزئيا بأنه «لا يمكن مع عرفات صنع السلام».

لكن هذا ما قالته «أمان» قبل 12 سنة، لكن ساسة مثل شمعون بيريس، ويوسي بيلين ويوسي سريد رفضوا الاصغاء. الآن، مع فوز حماس، لا خيار لاسرائيل سوى أن تتسبب بحل سلطة حماس على هذا الوجه أو ذاك ـ وهذا شيء سيفرض علينا جهدا غير ضئيل. إن ما كان يمكن حله مرة بسهولة نسبية، أصبح يحتاج اليوم الى قوة عظيمة. لكن ما لن نفعله اليوم، سيحتاج في الغد الى جهد مضاعف أضعافا كثيرة والى ثمن باهظ. ينبغي أن نأمل أن يتناول الساسة ما يُستقبل بتحمل شديد للمسؤولية.

حاييم روزنبرغ
عمل مسؤولا عن التخطيط بعيد الأمد في رفائيل
(معاريف) 2006/3/5

هناك الكثير من التشابه بين باراك واولمرت وكلاهما مؤهلان لرئاسة الحكومة

ايهود اولمرت

ايهود باراك

■ لا يوجد اليوم في دولة اسرائيل من يذكر أنه لو جرت الامور على ما يرام في حكومة ايهود باراك، لكان اليوم رئيس حكومة «يتم» في هذه الايام ست سنين أو سبعا لولايته الثانية. ربما كانت دولة اسرائيل ستكون اليوم في اماكن مخالفة تماما ـ وربما لا، اذا ما تذكرنا ايام باراك المقلقة. الآن، على الحالة الفضلى، سيُستدعى ايهود الثاني (باراك) الى منصة التشريف، كرئيس حكومة فيما سبق، ليرى والألم يعتصر قلبه صورة يعرفها: سيرى رئيس الحكومة، ايهود الاول (اولمرت) يرفع يده اليمنى ليُقسم. بعد ذلك، من أعلى سكنه ومكوثه في أبراج تل ابيب، سيتابع ايهود الثاني اجراءات حكومة إيهود الاول ويتذكر. احيانا من اللذيذ أن نتذكر.

اليوم، وصورة أوراق اللعب مع خروج يوم الانتخابات آخذة في الوضوح (اذا لم تكن هناك مفاجأة «ذرية» بالطبع، تُلح، أو تلزم تقريبا موازنة بين إيهود الاول وايهود الثاني. فما الذي يملكه أحدهما ولا يملكه الثاني والعكس. انهما ابنا السن نفسها، والتجربة السياسية، بل الصداقة والتقدير بينهما، ولديهما التصورات نفسها تقريبا، اليوم يقينا. وما يزال مستقبل أحدهما غامضا، أما الثاني فدخل مثل سندريلا عالم رؤساء الحكومة.

يحسن أن ننتبه: ما يزال أقل من شهر للانتخابات ولا يتحدث أحد تقريبا بالبرنامج الحزبي والنوايا والمخططات، وتدور المعركة الانتخابية كلها حول شخصية المرشحين الكبار الثلاثة. بعد أن انقضى ذلك من العالم، تعود المعركة الانتخابية لتكون شخصية، حتى لو لم تُسمَ كذلك. المعركة بين ايهود اولمرت وعمير بيرتس وبيبي نتنياهو وكل الآخرين وكل البقية ـ زيادة عفن.

كما قيل آنفا، يمكن أن نمد الكثير من الخطوط المتوازية، والخطوط المتشابهة بين الايهودين: أصلهما من الاستيطان، وكلاهما حاد كالسكين، وذو خبرة عامة غنية، وكلاهما فصيح، وشخصية اعلامية في المكان الاول. انهما ذكيان، بل داهيتان، عملا طوال حياتهما في البلوغ تقريبا في مجال واحد ووحيد (الاول في السياسة، والثاني في الجيش)، وأيد الاول مرتين على الأقل الثاني تأييدا لا نظير له في الماضي (مرة في «اللوبي» من اجل تعيينه كرئيس هيئة اركان، وفي المرة الثانية عندما قال علنا وفي أوج المعركة الانتخابية إن «ايهود باراك لن يُقسم القدس»، وقد دفع ويدفع ثمنا سياسيا باهظا عن ذلك).

اليوم لن يُحرك الاول ساكنا من اجل الثاني. بعد أن «استلقى على الجدار» من اجله، كأحد أفراد الليكود وكرئيس لبلدية القدس، انتظر الاول تسعة اشهر كاملة للقاء رئيس الحكومة الثاني. تسعة اشهر!.

وهنا بالضبط الفرق والاختلاف بينهما: السمات الشخصية. لهذا سيكون أحدهما في القريب رئيس حكومة بولاية تامة والثاني سيُجل ويقعد في بيته. الاول، اولمرت، هو رجل الناس. فهو يحب الناس والناس يحبونه، بغير حساب سياسي تقريبا. كانت صحف نهاية الاسبوع الأخير مليئة، وبحق، بقصص انسانية عنه وعن أبناء بيته. عندما يرنو الاول الى عيني غيره، يبدو للآخر انه لا يوجد للاول أي اهتمام آخر في العالم سواه هو. وهو يصدقه. وعندما يسأل «كيف حالك»، يهتم الاول بالاجابة ايضا. يعيد الاول مهاتفة الجميع، ويسأل، ويهتم، وهو دافئ وحساس. تربياته، واحتضاناته، أصبحت عنده طبيعة ثانية لا يمكن التحكم فيها، ولهذا يصدقه الناس ويحبونه (ليس الجميع بالطبع، لانه يوجد خصوم وكارهون كبار ايضا). مع طابع اجتماعي ومريح كهذا، ومع ثورات أعصاب الاول ايضا يمكن العيش، لانه يعرف الاعتذار بعد ذلك بدقيقة ايضا. وليس مما يضر صحته أن يقول «اخطأت».

اذا ما زدنا على ذلك حظه السياسي في الوقت الأخير، فمن الواضح أن طريقه الى كابلان 3 في القدس ممهدة كما ينبغي شريطة ألا ينشئ «حفلا خاصا» لتتويجه رئيسا للحكومة. انه يملك الكثير جدا من الاصدقاء الجيدين، الذين سيشعرون بالاهانة اذا لم يُدعوا. إن لايهود الاول ولايهود الثاني الكثير من الاصدقاء خارج حزبيهما أكثر من الاصدقاء في حزبيهما هما.

وكلاهما، الاول والثاني، ذو قدرات زائدة، تعلم ممن هو أكبر منه وصب الماء على يديه (بيغن، ورابين وآخرين)، وله خبرة سياسية (خارجية وداخلية) وعالمية، وفي حالة الثاني (أمنية ايضا)، لكن واحدا منهما فقط سيكون رئيس الحكومة في الفترة القريبة. ليكون رئيس حكومة بعد ايهود الاول، سيضطر ايهود الثاني الى أن يعمل عملا صعبا، اذا ما عمل عملا صعبا، في تحسين نفسه في الأساس، فسيمكن بالتأكيد أن يكون رئيس حكومة ايضا.

ايتان هابر
رئيس ديوان رابين سابقا
(يديعوت احرونوت) 2006/3/5

ميزان الرعب الذي ينشئه الخيار النووي سيفضي الى زيادة سباق التسلح الذري في المنطقة ولن يكون مدعاة لاحلال السلام والتعاون

■ أفنير كوهين الذي يدافع عن تثبيت أمن اسرائيل على خيار ذري («هآرتس»، 2/7 و2/22)، وموشيه ماعوز الذي يعارض هذه الاستراتيجية («هآرتس» 2/15)، افتتحا نقاشا للسياسة الذرية، غاب الى الآن تقريبا عن المنصة العامة في اسرائيل.

تُسمى سياسة اسرائيل التقليدية «الغموض الذري»، ما هو الغامض هنا، وبازاء من؟ في واقع الأمر لا يوجد أي غموض، لا في اسرائيل ولا خارجها. وفضلا على ذلك لو كان هناك غموض، فليس من الواضح كيف كان سيسهم في أمن الدولة. اذا لم يكن لأعداء اسرائيل معلومات عن وضع تطوير هذا السلاح، فانه يتوقع أن يكون فرض عملهم أن اسرائيل مزودة بسلاح ذري.

ما هو اذا المنطق الذي يقف من وراء سياسة الغموض. إن هذه مصالحة بين مؤيدي الذرة ومعارضيها أكثر من كونها سياسة: فالمؤيدون يقبلون وضعا يكون النظر فيه لاسرائيل كالنظر الى عضو في النادي الذري، أما المعارضون فبقي لهم باب لنزع هذا السلاح بتسوية مستقبلية، لان امتناع اسرائيل عن اعلان على الملأ في الشأن الذري يشبه التلويح بأنها ستكون مستعدة للتخلي عن الخيار.

ولكن لماذا يُحتاج ضرورة الى المصالحة؟ في ظاهر الأمر، يسود اسرائيل اجماع تأييد استراتيجية ذرية. في واقع الأمر ليس الوضع كذلك. ربما يكفي أن نذكر المعارضة المعللة التي عبر عنها اربيل شارون لوجود السلاح الذري في المنطقة: «لم أستطع قط أن أفهم الناس في اسرائيل، الذين تحدثوا بأنه يُحتاج الى الحصول على «ميزان رعب» في الشرق الاوسط»، كتب في كتاب سيرته الذاتية «مقاتل» (1989، ص 381).

أريد أن أطرح اسئلة عن عدد من الفرضيات التي تقف وراء تأييد الخيار النووي: هل تستطيع اسرائيل أن تستعمل السلاح الذري؟ هل يوجد اسرائيل خيار «الضربة الاولى»؟ في أي الظروف يمكن تحقيق الخيار؟.

وسؤال آخر: هل يوجد لاسرائيل خيار «الضربة الثانية»؟ إن الضربة الاولى التي ستتلقاها اسرائيل ستضر بها إضرارا بالغا. أما وضع دولة مثل ايران، تزيد مساحتها بـ 85 ضعفا على مساحة اسرائيل، فليس مشابها.

يرد مؤيدو الذرة على هذه الدعاوة، بأن لهذا السلاح مهمة ردعية فقط وأنه ليس مُعدا للاستعمال. تشتمل هذه الاجابة على اربعة تناقضات. الاول، اذا كان صاحب السلاح يعرف ذلك، فان الطرف الثاني ايضا يعرف. ومن هنا، فان هذا السلاح لا يردع عن البدء بحرب تقليدية فضلا عن هجوم ارهابي. يقول شارون عن ذلك في كتابه، إن ميزان الرعب «كان سيقيد قدرة اسرائيل على الدفاع عن نفسها في وجه هجمات ارهابية صغيرة» (ص 381).

وثانيا، تقوم الاستراتيجية الذرية على ميزان رعب، أو تستدعيه على الأقل. يجب أن يكون مؤيدو السلاح الذري ذوي اهتمام بأن تملك ايران سابقا أو لاحقا سلاحا ذريا، لكي يُثبتوا السياسة التي يؤيدونها وليمنحوها الشرعية. أي ان الاستراتيجية الذرية تعني تزويد العدو بالذرة.

وثالثا، توجب الاستراتيجية الذرية بذل الثقة لقادة يشاركون في الميزان، بحسب نظرية الألعاب، ينبغي أن نفترض أن العدو عقلاني. والامر يعني، أنه يجب أن نضع أمن الدولة في يد عقلانية أعدائها الكامنين.

ورابعا، الاستثمار في السلاح الذري يضر بالردع التقليدي للجيش الاسرائيلي، لان الموازنة الأمنية هي مورد محدود. كل استثمار في النظام الذري يزيد المُركب الذري في جهاز الأمن ويضائل المُركب التقليدي. وهكذا تنشأ دائرة مفرغة، يقتضي الخروج عنها نفقة كبيرة.

هناك زعم آخر قد يثيره مؤيدو الذرة، وهو أن هذا السلاح يمكن أن يُستعمل ورقة مساومة. أي، لقاء سلام شامل عام ستكون اسرائيل مستعدة للتنازل عن الخيار الذري. في هذا التعليل يخفق ايمان كامل جدا بالسلام، يمكن في ظله أن نبدأ سباق تسلح نووي حتى قيام الساعة. لأن توقع السلام مع التسلح الذري، هو في واقع الأمر توقع سلبي لتحقق الرعب.

السلاح الذري، بدل أن يردع وأن ينشئ ظروفا للسلام والتعاون الاقليمي، ينشئ نظاما اقليميا لسباق التسلح، من غير أن يفضي الى مضاعفة العنف. على عكس اقوال شمعون بيريس الذي قال إن «ميزان الرعب سيتغلب على العداء»، سيزيد ميزان الرعب بالذات العداء.

عوديد بلبان
بروفيسور محاضر في الفلسفة السياسية في جامعة حيفا والتخنيون
(هآرتس) 2006/3/5

برنامج كديما هو نفس البرنامج السياسي لدى كل الحكومات السابقة: عدم الاعتراف بالفلسطينيين والتهرب من المفاوضات الحقيقية

■ من الممكن ملاحظة الخطوط المميزة لسياسة حكومة اولمرت القادمة: أبو مازن، كما قالت تسيبي لفني، هو «مجرد كلمات عذبة، وحماس كما قال موفاز هي الشيطان والمارد خصوصا لانها ستشرع القوانين الدينية الاسلامية، والسلطة الحمساوية هي سلطة ارهابية لا تستحق الدعم الاقتصادي، كما قال ايهود اولمرت. باختصار، السياسة الاحتياطية التي اتخذت منها السياسة تجاه عرفات، هي نفس السياسة التي تُستخدم الآن في مواجهة السلطة التي ستديرها حماس.

بلورة صورة حماس كشيطان دوري، كانت ستُعامل بجدية لو أننا لم نكن نعرف موقف حكومات اسرائيل من أي قيادة فلسطينية كانت. ولكن يبدو أنه لا توجد حاجة بعد للبرهنة على أن هناك نهجا بنزع الشرعية عن الخصم لتوفير هامش من حرية التفاوض وتقديم التنازلات غير المرغوبة. من الممكن القول بصورة ساخرة أن اسرائيل لم تكن لتأمل بالحصول على شريك أفضل من حماس. شريك يبرهن على نظرية «اللاشريك».

ولكن الذاكرة التاريخية القصيرة يجب أن تُذكرنا بوجوب التحذير من أن اسرائيل لن تجد في المستقبل شركاء أفضل حالا. اجتزنا 20 سنة في نهاية المطاف منذ أن تحولت حماس الى تنظيم كفاحي الى جانب كونها تنظيما اجتماعيا. وفي الثمانينيات لم يكن أحد ليولي لها أهمية حقيقية، بينما قامت السلطة بكبتها في التسعينيات إبان ايام الخصب في اوسلو، وفي بداية 2001 أصبحت أهم تنظيم في المناطق بسبب فساد فتح والانتفاضة. وها هي حماس، مثل فتح وم.ت.ف عموما، تُبدي استعدادها لاجراء المفاوضات مع حكومة اسرائيل، ولكنها لا تتنازل ـ مثل م.ت.ف ـ عن الكفاح المسلح في الوقت نفسه وتطلب اجراء مفاوضات مع نفس الحكومة التي «لا تعترف بها». أي اعتراف تحتاجه دولة محتلة ممن تحتلها؟.

اسرائيل تقوم من خلال شرطها هذا ـ الاعتراف بها ـ بتحديد مستوى مفاده أنه لا يوجد ما يمكن التحدث حوله طالما أنه لم يكن هناك من يمكن التفاوض معه. هذا منطق يسهل الاتفاق معه، وهو جذاب وصادق حسب ما يبدو لو أنه كان صحيحا فقط. اسرائيل تتملص بصورة منهجية من عكس الصيغة وامكانية صياغة الـ «ماذا» (حول ماذا نتفاوض) من اجل تحديد «من» (من نتفاوض معه). ومن الأفضل عدم الوقوع في البلبلة والحيرة. خريطة الطريق التي تقول اسرائيل انها «خطتها السياسية» ليست حلا، وهي ليست بديلا للمفاوضات، وانما سلسلة من الشروط لادارة المفاوضات.

اسرائيل لا تحتاج الى اعتراف تنظيم تحول الى سلطة، وما زال لا يدير دولة. اسرائيل تخلط بين مطلب الاعتراف وبين مطلب تغيير ميثاق حماس الذي يدعو الى تدمير اسرائيل، وبذلك تخفي الفشل المنطقي الكامن في حقيقة أنه لا يمكنك أن تُصفي طرفا لا تعترف بوجوده. حماس قد اعترفت بهذا الفشل في الواقع عندما بدأت تتحدث عن «حقيقة قائمة»، وتقول انها تعترف «فقط» بشرعية النظام الاسرائيلي. حماس تقوم بوضع شروط عملية ذكية لوقف اطلاق النار، اطلاق سراح السجناء، ايقاف عمليات الاغتيال وهدم المنازل، والانسحاب من الاراضي المحتلة، من دون المفاوضات، ومن دون شروط مسبقة كما كانت اسرائيل تطالب دائما. ولكن كيف يمكن قبول هذه الخطوة من تنظيم ليس مستعدا «للاعتراف باسرائيل»، ولا يعترف فقط إلا بأن أحدا ما مجهول الهوية وبلا كيان معروف يواصل احتلاله له؟.

المسألة ليست مجرد فشل في المنطق أو في الصياغات المحيرة. اسرائيل تقترح على السلطة الجديدة ما يوجد لدى حماس أن تقدمه لها، لا أكثر ولا أقل: هدنة طويلة الأمد مقابل نفس الاعتراف. لا انسحاب شاملاً من المناطق، ولا اعتراف بالسلطة الفلسطينية كسلطة شرعية منتخبة ديمقراطيا. جوهر برنامج كديما السياسي غير الرسمي هو ترسيم الحدود بصورة أحادية الجانب. ولا يوجد أي مكان للاعتراف أو مجرد اللقاءات في هذه الخطة. فلا تحاولوا خداعنا اذا من فضلكم.

تسفي برئيل
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2006/3/5

التقارب بين الطوائف اليهودية في اسرائيل قد يزيد التوترات على نحو مؤقت

■ الجدل بين ياعيل باز ملماد («النقد ليس عنصرية»، 2/23) ورد بن درور يميني («يهود غربيون مضطهدون»، 2/24 يمس جذور وجودنا السياسي وثقافتنا القومية. لأن التفسير لكلمة «عنصري» الذي مُنحه نقد عمير بيرتس، في زعم باز ملماد، قد يضر بحرية التعبير، التي هي روح الديمقراطية، أما النقد الساخر الهازىء من بيرتس، الذي يميزه تمييزا سيئا عن ساسة آخرين، أبناء الطائفة اليهودية الغربية، الذي يُعرفه يميني كـ «عنصري»، فيضر بأسس وجودنا القومي.

رغم أنه يوجد من الحق في أقوالهما كليهما، فانني أريد أن أزعم أن نقطة انطلاقهما، وهي مفهوم «العنصرية» مخطوءة وتضر بجوهر توضيح المشكلة التي أثارها كلاهما.

مفهوم «العنصر»، بحسب معجم اكسفورد، يصف جماعات ذات مميزات جسمانية مشتركة، هي جماعات عِرقية في أصلها أو كتلك التي هي ذات تراث ثقافي مشترك.

ولكن في السنين الأخيرة، يضيف القاموس، ونتيجة لمأهاة مفهوم «العنصر» للايديولوجيات البيولوجية في القرن التاسع عشر، أصبح استعماله مشكلا، وذلك بسبب توسيع مفهوم «العنصرية» واجراؤه على جميع أنواع التمييز الجماعي على أساس الاختلاف الانثروبولوجي، أو الديني، أو الجنسي. هذا التوسيع ليس يُخرج «العنصرية» فقط عن سياقها التاريخي، بل يضر بضحاياها الحقيقيين ايضا ـ وهم السود الذين استُعبدوا في الحقول في جنوبي الولايات المتحدة، واولئك الذين طوردوا بسبب ألوان جلودهم في اماكن اخرى في العالم، والفجر الذين قتلهم النازيون بمئات آلافهم، واليهود بالطبع، الذين اقتيدوا الى المحارق بالملايين.

على ذلك ينبغي أن نحترس لكرامة ضحايا العنصرية الحقيقيين، وألا نضم اليهم أنواع المضطهدين اجتماعيا، ولتكن احساساتهم وضائقتهم ما كانت من الحق والعدل.

بإزاء «العنصرية»، أقترح العودة الى المفهوم التقليدي والصحيح، «رأي سابق». هنا، لمزيد أسانا، نحن كيهود، بفعل مصيرنا التاريخي، نخطو فوق ارض صلبة. الآراء السابقة ميزت جماعات اليهود الغربيين واليهود الشرقيين في غرب اوروبا ـ في فرنسا وهولندا وبريطانيا بعضها عن بعض.

في نفس الفترة، قبل 200 عام عاشت الطوائف اليهودية بعضها بجانب بعض، لكن لم تعش بعضها مع بعض. والنخبة الشرقية نظرت باحتقار الى عامة الطائفة الغربية. بل لقد طلبت التمييز بينها وبين اولئك اليهود الغربيين الفقراء أو المهاجرين الجدد، في كل مكان وصلوا اليه في تنقلهم في الغرب. لقي هذا الرأي السابق يهود اوروبا الشرقية الذين هاجروا الى المانيا، وعزلهم اليهود الالمان «الأصليون» عزلا مترفعا.

في ارض اسرائيل ايضا، «الاستيطان القديم» الديني كان مقسوما في طائفتين، لم يكن اتصال بينهما تقريبا، وكان يفصل بينهما سور من الآراء السابقة. وكذلك لم تستقبل الطوائف الشرقية في القدس المهاجرين من اليمن. وهكذا كانت علاقة العمال من أبناء الهجرة الثانية بالعمال ذوي الأصول اليمنية؛ وعلاقة الحركة الطليعية بالهجرة البرجوازية، والسخرية التي لقيها يهود المانيا في سنوات الثلاثين من أبناء الاستيطان القديم، والذي كان في أكثره من ذوي الأصول الروسية والبولندية، وهكذا دواليك حتى ايامنا هذه. التناقض هو أن هذه الآراء السابقة نتاج مسيرة عيش هذا مع هذا التي بادرت اليها الصهيونية، لا عيش هذا بجانب هذا، كما كان الأمر وما يزال في اماكن شتات اسرائيل. وعلى هذا، كلما توسعت عملية التقارب بين الطوائف قد يزداد، ازديادا مؤقتا ايضا التوتر بينها. وانتخاب بيرتس لرئاسة حزب العمل دليل واضح على الظاهرتين اللتين يتصل بعضهما ببعض: التقارب والتوتر.

وعلى ذلك، ينبغي أن يكون المثقفون الذين تُفتح أمامهم وسائل الاعلام على اختلافها، والذين لا يُحسبون في اولئك الذين يريدون نقض المجتمع اليهودي من الأساس، أن يكونوا على علم بهاتين الظاهرتين، وألا يتجاهلوا حساسيات مُحقة، وألا يزيدوا بألسنتهم الحادة الوقود على الشعلة الملتهبة أصلا.

البروفيسور يوسف غورني
مؤرخ اسرائيلي
(معاريف) 2006/3/5

الوسط الروسي اصبح طائفة ذات تطلعات ورغبات بترسيم ملامح الدولة كلها

■ بعد ثلاث سنوات من الاعلان الرسمي في انتخابات 2003 عن موت «الصوت الروسي» (650 الف صاحب حق اقتراع من الناطقين بالروسية)، ها هو هذا الصوت يتحول مرة اخرى الى محور مركزي في الحملة الانتخابية الحالية وساحة غزل من كل الاحزاب. وبالرغم من ذلك لم يكن الاعلان عن موت الصوت الروسي خاطئا تماما: وانما لم يكن دقيقا بكل بساطة. الامر الذي لم يعد له وجود هو «الوسط الروسي» وما تبقى منه الان. والمجتمع يتميز خلافا للوسط بانماط واحتياجات اقتصادية ـ اجتماعية متشابهة وبرغبات وتطلعات مشتركة. المشاكل الاجتماعية ـ الاقتصادية التي منها القادمون الجدد اصبحت مع الوقت مشاهة لتلك الموجودة عند الجمهور كله في البلاد. ومع ذلك ظلوا كجالية متماسكة في المحيط الثقافي والتطلعات المشتركة. في الساحة التي تحفل بسياسة الهويات ـ تعتبر هذه الامور ذات وزن حاسم.

تعبيرات وجود جالية ذات انماط تفكير مشتركة ومتميزة يمكن أن نراها في الاشهر الاخيرة بصورة جيدة ردا على حدثين. الروس قالوا في الاستطلاعات ان العامل السياسي ـ الامني سيكون دافعا اساسيا للتصويت رغم هيمنة الاعتقاد بان الشأن الاجتماعي ـ الاقتصادي هو الحاسم هنا. الروس عرفوا ذلك لانهم لا ينتمون بعد لتيار التفكير المركزي كمجموعة اجتماعية. التعبير الثاني عن تحول الروس من قطاع الى طائفة هو رد الفعل على صعود حماس. رغم الميول اليمينية لدى اغلبية الناطقين بالروسية الا ان ردهم على ذلك كان منضبطا اكثر من رد فعل الشارع الاسرائيلي عموما. ذلك لان عند الشارع لا يميز بين فتح وحماس. كما هو شائع لدى الجمهور الاسرائيلي. اغلبية الروس لا يجدون فرقا بين الاثنين (فتح وحماس). هذا ايضا احد الاسباب التي فشلت فيها حملة التخويف التي قادها بنيامين نتنياهو في اوساطهم. لا يوجد سبب للخوف من تعزيز قوة طرف معين. ليس صدفة أن افيغدور ليبرمان يسمح لنفسه بالسخرية من شعار نتنياهو «قوي في مواجهة حماس» في صحيفته الانتخابية الروسية. «هذا شعار جيد لانتخابات البرلمان الفلسطيني ولا علاقة له بالانتخابات الاسرائيلية».

أيضا نجاح ليبرمان الذي يلوح في الافق في اوساط الروس هو تعبير عن المشاعر «الطائفية» لديهم. لو كان ليبرمان قد اتى للناخبين مع نفس البرنامج ـ ولكن من دون اللكنة الروسية ـ لما حاز على نفس التأييد الذي تمتع به الان. من الناحية الاخرى يمكن التقدير انه لولا كونه «روسيا» لاندفع كثير من الاسرائيليين القدامى وراء خطته لمبادلة الاراضي والسكان التي ولدت عموما في اوساط النخبة الاكاديمية والامنية القديمة. ولكن ليبرمان بالرغم من جهوده للتنصل من هذه العلامة المميزة الا انه ظل قائدا طائفيا. هو «واحد من جماعتنا» في نظر الروس الامر الذي يشكل حاجزا زجاجيا امام طريقته نحو القلب الاسرائيلي، وفي وسائل الاعلام الروسية يوجهون الانتقادات احيانا لعدم كون قائمته «روسية» بدرجة كافية، امام الاسرائيليين القدامى فيقولون انها روسية جدا. اربيل شارون أجاد ادراك التوجهات في اوساط الروس ولكن اقامة كديما عقدت مساعيه لكسب تصويتهم لليكود كما فعل بيغن مع اصوات الشرقيين في 1977. المتنافسون الان يسعون للتواصل مع الروس بطرق بدائية. ايهود اولمرت يقوم بذكر اصل والديه من بلدة سمارة اما عمير بيرتس فيقول ان بعض اسرته قد هاجروا لروسيا بعد طرد اليهود من اسبانيا. المتحدثون يسخرون من ذلك وهم لا يبحثون عن «حزب روسي» آخر بل عن تمثيل اصيل لهم. ليس فقط من اجل تحقيق تطلعاتهم بل من اجل تحويل الحلول المطلوبة من هذه الطائفة الى حلول اسرائيلية شاملة في كل المجالات. الروس لم يعودوا يبحثون عن الاندماج بل يريدون القيادة والتحول الى شريك كامل في بلورة ملامح الدولة على أساس «حلولهم» هم. الحلول هي الكلمة المركزية في المنافسة على الصوت الروسي، فالروس خلافا للجمهور القديم الذي تعلم الاكتفاء بالوعود الغامضة، يطالبون بامور واضحة ودقيقة الامر الذي تحول الى مسألة هامة بعد رحيل شارون عن الساحة. ومع ذلك تتحدد صورة التأييد في الانتخابات حسب الناخب بعينه: نواة كديما الصلبة هي ناخبو شينوي سابقا الذين يعتبرون أنفسهم طبقة متوسطة برغماتية. أما ناخبو ليبرمان الكبار في السن فينتمون لطبقة أدنى. 40 في المئة من الروس ـ نسبة أعلى منها في مجموع السكان ـ يغيرون اصواتا عائمة حتى الان واللعبة هي: الاصوات مقابل الحلول.

ليلي جاليلي
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/3/5